الرسائل لابن تيمية

# مراتب الإرادة

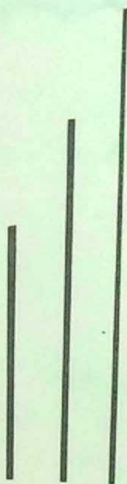
تأليف

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية

تحقيق

عبد الحميد شانوحة

دار المطبوعات الحديثة
تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص ب ١٦٦٢٥
جدة - المملكة العربية السعودية



# مراتب الإرادة

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م



# مراتب الإرادة

الغزي

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي

(٦٦١هـ ٧٢٨)

تحقيق

عبد الحميد شانوحة




الناشر

دار المطبوعات الحديثة

تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص.ب ١٦٦٢٥

جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ماتقول السادة العلماء أئمة الدين ، رضي الله عنهم أجمعين ، في قوله تعالى : ( إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون )[1] فإن كان المخاطب موجود فتحصيل الحاصل محال ، وإن كان معدوماً ، فكيف يتصور خطاب المعدوم .

وقوله تعالى : (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )[2] فإن كانت اللام لصيرورة في عاقبة الأمر فما صار ذلك ، وإن كانت اللام للغرض ، فلزم أن لايتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته ، وليس كذلك ، فكيف التخلص من هذا المضيق .

---

( ١ ) النحل آية ٤٠ . ( ٢ ) الذاريات آية ٥٦ .

وفيما ورد من الأخبار والآيات بالرضا بقضاء الله تعالى ، فكراهتها وبغضها كراهة ، وبغض لقضاء الله تعالى .

وفي قوله ﷺ : « جف القلم بما هو كائن »[1] **في معنى قوله تعالى : ( ادعوني أستجب لكم )[2] فإن كان الدعاء أيضاً بما هو كائن ، فما** فائدة الأمر به ولابد من وقوعه .

وفي قوله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »[3] فاختلاف المفسرين في آية واحدة إن كان بالرأي فكيف النجاة ، وإن لم يكن بالرأي ، فكيف وقع الاختلاف ، والحق لايكون في طرفي نقيض ، أفتونا مأجورين أثابكم الجنة .

---

( ١ ) رواه البخاري في النكاح والنسائي في النكاح .
( ٢ ) غافر آية ٦٠ .
( ٣ ) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين . أما المسألة الأولى : فهى مبنية على أصلين :

أحدهما : الفرق بين خطاب التكوين الذى لايطلب به سبحانه فعلا من المخاطب ، بل هو الذي يكون المخاطب به ، ويخلقه بدون فعل من المخاطب ، أو قدرة ، أو إرادة ، أو وجود له ، وبين خطاب التكليف الذي يطلب به من المأمور فعلا أو تركا يفعله بقدرة وإرادة ، وإن كان ذلك جميعه بحول الله وقوته ، إذ لاحول ولا قوة إلا بالله ، وهذا الخطاب قد تنازع فيه الناس هل يصح أن يخاطب به المعدوم بشرط وجوده أم لا يصح أن يخاطب به إلا بعد وجوده ، لانزاع بينهم أنه لايتعلق به حكم الخطاب إلا بعد وجوده ، وكذلك تنازعوا

في الأول ، هل هو خطاب حقيقى ، أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة ، والأول هو المشهور عند المنتسبين إلى السنة .

والأصل الثانى : أن المعدوم في حالة عدمه ، هل هو شيء أم لا ، فإنه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة ، إلى أنه شيء في الخارج ، وذات وعين ، وزعموا أن الماهيات غير مجعولة ولا مخلوقة ، وأن وجودها زائد على حقيقتها ؛ وكذلك ذهب إلى هذا طوائف من المتفلسفة والاتحادية وغيرهم من الملاحدة ، والذي عليه جماهير الناس ، وهو قول متكلمة أهل الاثبات والمنتسبين إلى السنة والجماعة أنه في الخارج عن الذهن قبل وجوده ليس بشيء أصلا ولا ذات ولا عين ، وأنه ليس في الخارج شيئان أحدهما حقيقة ، والآخر وجوده الزائد على

حقيقته ، فإن الله أبدع الذوات التي هى الماهيات ، فكل ماسواه سبحانه فهو مخلوق ومجعول ، ومبدع ومبدوله سبحانه وتعالى ، لكن في هؤلاء من يقول : المعدوم ليس بشئ أصلا ، وإنما سمي شيئاً باعتبار ثبوته في العلم كان مجازاً ، ومنهم من يقول لا ريب أن له ثبوتا في العلم ووجوداً فيه ، فهو باعتبار هذا الثبوت والوجود هو شئ ، وذات ، وهؤلاء لا يفرقون بين الوجود والثبوت ، كما فرق من قال : المعدوم شئ ولا يفرقون في كون المعدوم ليس بشئ بين الممكن والممتنع ، كما فرق أولئك ، إذ قد اتفقوا على أن الممتنع ليس بشئ ، وإنما النزاع في الممكن وعمدة من جعله شيئاً ، إنما هو لأنه ثابت في العلم ، وباعتبار ذلك صح أن يخص بالقصد والخلق والخير عنه والأمر به والنهي عنه وغير ذلك قالوا : وهذه التخصيصات تمتنع أن تتعلق بالعدم والمحض ، فإن خص الفرق

بين الوجود الذى هو الثبوت العينى ، وبين الوجود الذى هو الثبوت العلمى ، زالت الشبهة في هذا الباب .

وقوله تعالى : ( إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون )[1] وذلك الشئ هو معلوم قبل إبداعه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه ، وبذلك كان مقدراً مقضياً فإن الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب من مايعلمه ماشاء كما قال النبي ﷺ في الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن عمر : « أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[2] وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال : « كان الله ولم يكن شئ معه

---

( ١ ) النحل آية ٤٠ .

( ٢ ) رواه مسلم في الزكاه .

وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ ثم خلق السموات والأرض »[١] وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب . فقال : ماأكتب ؟ قال : ماهو كائن إلى يوم القيامة »[٢] إلى أمثال ذلك من النصوص التى تبين أن المخلوق قبل أن يخلق كان معلوماً مخبراً عنه مكتوبا ، فهى شئ باعتبار وجوده العلمى الكلامى الكتابى ، وإن كانت حقيقته التى هي وجوده العينى ليس ثابتا في الخارج ، بل هو عدم محض ، ونفي صرف ، وهذه المراتب الأربعة المشهورة موجودات ، وقد ذكرها الله سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله : ( اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم

( ١ ) رواه البخاري في بدء الخلق .

( ٢ ) رواه أبو داود ( ٤٧٠٠ ) واسناده حسن .

يعلم )[١] وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع ، وإذا كان كذلك كان الخطاب موجها إلى من توجهت إليه الإرادة ، وتعلقت به القدرة ، وخلق وكون كما قال : ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون )[٢] فالذى يقال له : كن هو الذى يراد . وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير ، ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا يحصل الجواب عن التقسيم. فإن قول السائل إن كان المخاطب موجوداً فتحصيل الحاصل محال . يقال له : هذا إذا كان موجود في الخارج وجوده الذى هو وجوده ، ولا ريب أن المعدوم ليس موجوداً ولا هو في نفسه ثابت ، وأما ماعلم وأريد وكان شيئاً في العلم والإرادة والتقدير ، فليس وجوده في الخارج

( ١ ) العلق آية ١ .
( ٢ ) النحل آية ٤٠ .

محالا ، بل جميع المخلوقات لاتوجد إلا بعد وجودها في العلم والإرادة ، وهو قول السائل إن كان معدوماً ، فكيف يتصور خطاب المعدوم ، ويقال له أما إذا قصد أن يخاطب المعدوم في الخطاب بخطاب يفهمه ويمتثله فهذا محال ، إلا من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم والفعل ، والمعدوم لايتصور أن يفهم ويفعل فيمتنع خطاب التكليف له حال عدمه بمعنى أنه يطلب منه حين عدمه أن يفهم ويفعل ، وكذلك أيضاً يمتنع أن يخاطب المعدوم في الخارج خطاب تكوين ، بمعنى أن يعتقد أنه شيء ثابت في الخارج ، وأنه يخاطب بأن يكون ، وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب إذا كان توجيه خطاب التكوين إليه ، مثل توجيه الإرادة إليه ، فليس ذلك محالا ، بل هو أمر ممكن ، بل مثل ذلك يجده الإنسان في نفسه ،

فيقدر أمراً في نفسه يريد أن يفعله ويوجه إرادته وطلبه إلى ذلك المراد المطلوب الذى قدره في نفسه ، ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته ، فإن كان قادراً على حصوله حصل مع الإرادة والطلب الجازم ، وإن كان عاجزاً لم يحصل ، وقد يقول الإنسان ليكن كذا ونحو ذلك مع صيغ الطلب ، فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه ، والله سبحانه على كل شيء قدير ، وماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فإن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

( فصل ) وأما المسألة الثانية : فقول السائل قوله تعالى : ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )[1] إن كانت هذه اللام للصيرورة في عاقبة الأمر فما صار ذلك ، وإن كانت اللام للغرض لزم

---

( ١ ) الذاريات آية ٥٦ .

أن لايتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس الأمر كذلك ، فما التخلص من هذا المضيق .

فيقال : هذه اللام ليست هي اللام التى يسميها النحاة لام العاقبة والصيرورة ، ولم يقل ذلك أحد هنا كما ذكره السائل ، من أن ذلك لم يصر إلا على قول من يفسره ، ويعبدون بمعنى يعرفون يعني المعرفة التي أمر بها المؤمن والكافر ، لكن هذا قول ضعيف وإنما زعم بعض الناس ذلك كله قوله : ( ولذلك خلقهم )[1] التي في آخر سورة هود ، فإن بعض القدرية زعم أن تلك اللام لام العاقبة والصيرورة ، أي صارت عاقبتهم إلى الرحمة ، وإلى الاختلاف ، وإن لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك كقوله : ( فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً )[2] وقول الشاعر :

---

( ١ ) هود آية ١١٨ .
( ٢ ) القصص آية ٨ .

وهذا أيضاً ضعيف هنا ، لأن لام العاقبة إنما تجيء في حق من لايكون عالما بعواقب الأمور ومصايرها ، فيفعل الفعل الذى له عاقبة لايعلمها كآل فرعون ، فأما من يكون عالما بعواقب الأفعال ومصايرها ، فلا يتصور منه أن يفعل فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته ، وإذا علم أن فعله له عاقبة ، فلا يقصد بفعله مايعلم أنه لايكون ، فان ذلك تمنى وليس بارادة .

وأما اللام فهي اللام المعروفة وهي لام كي ، ولام التعليل التي إذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية ، وهى متقدمة في العلم والإرادة ، متأخرة في الوجود والحصول ، وهذه العلة هي المراد المطلوب

المقصود من الفعل ، لكي ينبغى أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين .

أحدهما : الإرادة الكونية ، وهى الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وهذه الإرادة في مثل قوله : ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً )[1] وقوله : ( ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم )[2] وقال تعالى : ( ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد )[3] وقال تعالى : ( ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله )[4] وأمثال ذلك ، وهذه الإرادة في مدلول اللام في قوله : ( ولا يزالون

---

( ١ ) الأنعام آية ١٢٥ .
( ٢ ) هود آية ٣٤ .
( ٣ ) البقرة آية ٢٥٣ .
( ٤ ) الكهف آية ٣٩ .

مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم )[1] قال السلف : خلق فريقاً للاختلاف ، وفريقاً للرحمة ، ولما كانت الرحمة هنا بالإرادة ، وهناك كونية ، وقع المراد بها ، فقوم اختلفوا ، وقوم رحموا .

وأما النوع الثاني : فهو الإرادة الدينية الشرعية ، وهى محبة المراد ورضاه ، ومحبة أهله والرضا عنهم ، وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى : ( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )[2] وفي قوله تعالى : ( مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم )[3] وقوله : ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن

---

( ١ ) هود آية ١١٨ .

( ٢ ) البقرة آية ١٨٥ .

( ٣ ) المائدة آية ٦ .

تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً )[1] فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به لنوع الأول من الارادة ، ولهذا كانت الأقسام أربعة .

أحدها : ماتعلقت به الإرادتان ، وهو ماوقع في الوجود من الأعمال الصالحة ، فإن الله أراده إرادة دين وشرع ، فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون ، فوقع ولولا ذلك لما كان .

والثاني : ماتعلقت به الإرادة الدينية فقط ، وهو ماأمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار ، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع .

والثالث : ماتعلقت به الإرادة الكونية فقط ، وهو ماقدره وشاءه من الحوادث التى لم يأمر بها

---

( ١ ) النساء آية ٢٦ .

كالمباحات والمعاصي ، فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو لايأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعبادة الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لما كانت ولما وجدت ، فإنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

والرابع : مالم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه ، فهذا مالم يكن من أنواع المباحات والمعاصي ، وإذا كان كذلك فمقتضى اللام في قوله : ( وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون )[1] هذه الإرادة الدينية الشرعية ، وهذه قد يقع مراها وقد لايقع ، والمعنى أن الغاية التى تحب لهم وترضى لهم والتي أمروا بفعلها هي العبادة ، فهو العمل الذى خلق العباد له ،أي هو الذي يحصل كمالهم وصلاحهم الذي به يكونون مرضيين محبوبين

---

( ١ ) الذاريات آية ٥٦ .

فمن لم تحصل منه هذه الغاية ، كان عادماً لما يحب ويرضى ويراد له الإرادة الدينية التى فيها سعادته ونجاته وعادماً لكماله وصلاحه ، العدم المستلزم فساده وعذابه ، وقول من قال : العبادة هي العزيمة الفطرية ، فقولان ضعيفان فاسدان ، يظهر فسادهما من وجوه متعددة .

( فصل ) وأما المسألة الثالثة : فقوله فيما ورد من الأخبار والآيات ، في الرضا بقضاء الله ، فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وقدح في التوحيد ، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها وبغضها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى .

فيقال : ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضى مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها ، فهذا أصل يجب أن يعتنى ، ولكن على الناس أن

يرضوا بما أمر الله به ، فليس لأحد أن يسخط ماأمر الله به قال تعالى : ( فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً )[1] وقال تعالى : ( ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم )[2] وقال : ( ولو أنهم رضوا ماآتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون )[3] وذكر الرسول هنا يبين أن الإيتاء ، هو الإيتاء الديني الشرعي لا الكوني القدري ، وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبياً » وينبغي للانسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب

---

( ١ ) النساء آية ٦٥ .

( ٢ ) محمد آية ٢٨ .

( ٣ ) التوبة آية ٥٩ .

التي ليست ذنوباً مثل : أن يبتليه بفقر ، أو مرض ، أو ذل ، وأذى الخلق له ، فإن الصبر على المصائب واجب ، وأما الرضا بها فهو مشروع ، لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم ، أصحهما : أنه مستحب ليس بواجب ، ومن المعلوم أن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ، وقد أمرنا الله أن نأمر بالمعروف ، ونحبه ونرضاه ، ونحب أهله ، وننهى عن المنكر ، ونبغضه ونسخطه ، ونبغض أهله ، ونجاهدهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ، فكيف نتوهم أنه ليس في المخلوقات مانبغضه ونكرهه ، وقد قال تعالى لما ذكر ماذكر من المنهيات : ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها )[1] فاذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها ،

---

( ١ ) الاسراء آية ٣٨ .

فكيف لايكرهها من أمر الله أن يكرهها ويبغضها ، وهو القائل : ( وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون )[1] وقال تعالى : ( ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم )[2] وقد قال تعالى : ( فلما آسفونا انتقمنا منهم )[3] وقال تعالى : ( وغضب الله عليهم ولعنهم )[4] وقال تعالى : ( يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول )[5] فأخبر أن من القول الواقع مالا يرضاه وقال تعالى : ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم

---

( ١ ) الحجرات آية ٧ .

( ٢ ) محمد آية ٢٨ .

( ٣ ) الزخرف آية ٥٥ .

( ٤ ) الفتح آية ٦ .

( ٥ ) النساء آية ١٠٨ .

الذي ارتضى لهم )[1] وقال : ( ورضيت لكم الإسلام دينا )[2] وقال : ( وإن تشكروا يرضه لكم )[3] فبين أنه يرضى الدين الذى أمر به ، فلو كان يرضى كل شئ لما كان له خصيصة ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « لا أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته » وقال : « إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ماحرم عليه » ولابد من الغيرة من كراهة مايغار منه وبغضه ، وهذا باب واسع .

( فصل ) وأما المسألة الرابعة : فقوله إذا جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله : ( ادعونى أستجب لكم )[4] وان الدعاء أيضاً مما هو كائن فما فائدة الأمر به ، ولابد من وقوعه .

---

( ١ ) النور ٥٥ .

( ٢ ) المائدة آية ٣ .

( ٣ ) الزمر آية ٧ .

( ٤ ) غافر آية ٦٠ .

فيقال : الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الانابة ، وكسائر الأسباب في اقتضائها المسببات ومن قال : ان الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسئول ليس بسبب ، أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجوداً ولا عدماً ، بل مايحصل بالدعاء يحصل بدونه ، فهما قولان ضعيفان ، فإن الله علق الإجابة به تعليق المسبب بالسبب فقوله : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم )[1] وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « مامن مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له من الخير مثلها وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها » قالوا : يارسول الله إذاً نكثر قال : « الله أكثر »[2] فعلق العطايا

( ١ ) غافر آية ٦٠ .

( ٢ ) رواه الترمذي في الدعوات وأحمد ٣ / ١٨ واسناد أحمد حسن .

بالدعاء تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به ، وقال عمر بن الخطاب : إني لاأحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه ، وأمثال ذلك كثير ، وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك ويبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر الأسباب ، وقد أخبر سبحانه من ذلك ماأخبر به في مثل قوله : ( ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون )[1] وقوله تعالى : ( وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين )[2] وقوله : ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض )[3] وقوله تعالى عن زكريا : ( ربي لا تذرني

( ١ ) الصافات آية ٧٥ .
( ٢ ) الأنبياء آية ٨٧ .
( ٣ ) النمل آية ٦٢ .

فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه )[1] وقال تعالى : ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون )[2] وقال تعالى : ( ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهم بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص )[3] فأخبر أنه إن شاء أوبقهن ، فاجتمع أخذهم بذنوبهم وعفوه عن كثير منها ، مع علم المجادلين في آياته أنه مالهم من محيص ، لأنه في مثل هذا الحال يعلم المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب ، وقدرته ، ومشيئته ،

---

( ١ ) الانبياء آية ٨٩ .

( ٢ ) العنكبوت آية ٦٥ .

( ٣ ) الشورى آية ٣٣ .

ورحمته ، أنه لامخلص له مما وقع فيه كقوله في الآية الأخرى : ( وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال )[1] فان المعارف التى تحصل في النفس بالأسباب الاضطرارية ، أثبت وأرسخ من المعارف التى ينتجها مجرد النظر القياسى ، ينزاح عن النفوس في مثل هذه الحال ، هل الرب موجبٌ في ذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ، ولا يمكنه أن يحدث شيئاً ، ولا يغير العالم حتى يدعى ويسأل ، وهل هو عالم بالتفصيل والإجمال ، وقادر على تصريف الأحوال ، حتى يسأل التحويل من حال إلى حال ، ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة وغيرهم من الضلال ، فيجتمع مع العقوبة والعفو من ذي الجلال علم أهل المراء والجدال ، أنه لامحيص لهم عما أوقع بينهم من

---

( ١ ) الرعد آية ١٣ .

جادلوا في آياته وهو شديد المحال ، وقد تكلمنا على هذا وأشباهه ، وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : أن يعلم أن الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسئول ليس وجوده كعدمه في ذلك ، ولا هو علامة محضة كما دل عليه الكتاب والسنة ، وإن كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم ، مع أن ذلك يقر به جماهير بني آدم من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والصابئين ، والمجوس ، والمشركين ، لكن طوائف من المشركين والصابئين من المتفلسفة المشائين أتباع ارسطو ، ومن تبعه من متفلسفة أهل الملل كالفارابى ، وابن سينا ، ومن سلك سبيلهما ، ممن خلط ذلك بالكلام والتصوف والفقه ، ونحو هؤلاء يزعمون أن تأثير الدعاء في

نيل المطلوب ، كما يزعمونه في تأثير سائر الممكنات المخلوقات ، من القوى الفلكية ، والطبيعية ، والقوى النفسانية ، والعقلية ، فيجعلون مايترتب على الدعاء ، هو من تأثير النفوس البشرية من غير أن يثبتوا للخالق سبحانه بذلك علماً مفصلا ، أو قدرة على تغيير العالم ، أو أن يثبتوا أنه لو شاء أن يفعل غير مافعل لأمكنه ذلك . فليس هو عندهم قادراً على أن يجمع عظام الإنسان ويسوي بنانه ، وهو سبحانه هو الخالق لها ولقواها فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما قوله : وإن كان الدعاء مما هو كائن فما فائدة الأمر به ولابد من وقوعه . فيقال : الدعاء المأمور به لايجب كوناً ، بل إذا أمر الله العباد بالدعاء فمنهم من يطيعه فيستجاب له دعاؤه وينال طلبته ، ويدل ذلك على أن المعلوم المقدور هو

الدعاء والإجابة ، ومنهم من يعصيه فلا يدعو فلا يحصل ماعلق بالدعاء ، فيدل ذلك على أنه ليس في المعلوم المقدور الدعاء ولا الاجابة فالدعاء الكائن هو الذى تقدم العلم بأنه كائن لايكون . فإن قيل : فما فائدة الأمر فيما علم أنه يكون من الدعاء . قيل : الأمر هو سبب أيضاً في إمتثال المأمور به كسائر الأسباب ، فالدعاء سبب يدفع البلاء فإذا كان أقوى منه دفعه ، وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه ، لكن يخففه ويضعفه ، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات ، بالصلاة ، والدعاء ، والاستغفار ، والصدقة ، والعتق .

( فصل ) وأما المسألة الخامسة : في قوله ﷺ : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » فاختلاف المفسرين في آية واحدة إن كان بالرأي ، فكيف النجاة وإن لم يكن بالرأي ،

فكيف وقع الاختلاف ، والحق لايكون في طرفي نقيض .

فيقال : ينبغي أن يعلم أن الأختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين . أحدهما : ليس فيه تضاد وتناقض ، بل يمكن أن يكون كل منهما حقاً ، وإنما هو اختلاف تنوع ، أو اختلاف في الصفات أو العبادات ، وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب ، فإن الله سبحانه إذا ذكر في القرآن إسما مثل قوله : ( اهدنا الصراط المستقيم )[1] فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته ، وكل ذلك حق ، بمنزلة مايسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء ، كل اسم منها يدل على صفة من

---

( ١ ) الفاتحة آية ٣ .

صفاته . فيقول بعضهم : الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ، ويقول الآخر : الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام . ويقول الآخر : الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ، ويقول الآخر : الصراط المستقيم طريق العبودية ، أو طريق الخوف والرضاء والحب ، وامتثال المأمور ، واجتناب المحظور ، أو متابعة الكتاب والسنة ، أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الأسماء والعبارات ، ومعلوم أن المسمى هو واحد ، وإن تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته ، كما إذا قيل محمد وأحمد ، وهو الحاشر ، وهو الماحى ، وهو العاقب ، وهو خاتم المرسلين ، وهو نبي الرحمة ، وهو نبي الملحمة ، وكذلك إذا قيل القرآن هو الفرقان ، والنور ، والشفاء ، والذكر الحكيم ، والكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت ، وكذلك

أسماء الله الحسنى ، هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وهو الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى ، وهو الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الذى لا إله إلا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، هو الله ، الخالق ، البارئ ، وأمثال ذلك ، فهو سبحانه واحد ، صمد ، وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته ، ويدل هذا من صفاته على مالايدل عليه الآخر ، فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات ، فالاسم يدل على الذات ، والصفة المعينة بالمطابقة ، ويدل على أحدهما بطريق التضمن ، وكل اسم يدل على الصفة التى دل

عليها بالالتزام ، لأنه يدل على الذات المتكنى به جميع الصفات ، فكثير من التفسير والترجمة ، تكون من هذا الوجه .

ومنه قسم آخر : وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل ، لا على سبيل الجد والحصر ، مثل أن يقول قائل من العجم : مامعنى الخبز ، فيشار له إلى رغيف ، وليس المقصود مجرد عينه وإنما الإشارة إلى تعيين هذا الشخص ، وهذا كما إذا سئلوا عن قوله : ( فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات )[1] أو عن قوله : ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون )[2] أو عن الصالحين ، أو الظالمين ، ونحو ذلك من الأسماء العامة الجامعة

---

( ١ ) فاطر آية ٣٢ .
( ٢ ) النحل آية ١٢٨ .

التى قد يتعسر أو يتعذر على المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه ، إذ لايكون محتاجاً إلى ذلك فيذكر له من أنواعه وأشخاصه مايحصل به غرضه وقد يستدل به على نظائره ، فان الظالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحظور ، والمقتصد هو فاعل الواجب وتارك المحرم ، والسابق هو فاعل الواجب ، والمستحب وتارك المحرم والمكروه . فيقول المجيب بحسب حاجة السائل الظالم الذى يفوت الصلاة ، أو الذى لايسبغ الوضوء ، أو الذى لايتم الأركان ونحو ذلك ، والمقتصد الذى يصلي في الوقت كما أمر ، والسابق بالخيرات الذى يصلي الصلاة بواجباتها ومستحباتها ، ويأتي بالنوافل المستحبة معها ، وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات ، وقد روي عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التفسير

على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لايعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لايعلمه إلا الله ، فمن ادعى علمه فهو كاذب ، والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه ، كما أخذوا عنه السنة ، وإن كان من الناس من غير السنة ، فمن الناس من غير بعض معانى القرآن إذ لم يتمكن من تغيير لفظه ، وأيضاً فقد يخفى على بعض العلماء بعض معاني القرآن ، كما خفي عليه بعض السنة ، فيقع خطأ المجتهدين من هذا الباب والله أعلم .

## اصدارات دار المطبوعات الحديثة

جـدة ـ ص . ب ١٦٦٢٥ تلفون ٦٦١٠٨٨٠

| اسم الكتاب | المؤلف |
|---|---|
| ـ هؤلاء اسلموا | محمد علي مصلي |
| ٢ ـ الشمائل المحمدية | الإمام الترمذي / تحقيق : محمد عفيف الزعبي |
| ٣ ـ الاحاديث القدسية | المناوي / تحقيق محمد عفيف الزعبي |
| ٤ ـ مختصر سيرة بن هشام | محمد عفيف الزعبي |
| ٥ ـ ديوان الإمام الشافعي | محمد عفيف الزعبي |
| ٦ ـ البخلاء | للجاحظ / محمد عفيف الزعبي |
| ٧ ـ الإيمان | الأمين الحاج محمد أحمد |
| ٨ ـ أحكام الجنائز | الأمين الحاج محمد أحمد |
| ٩ ـ أحكام الزواج | الأمين الحاج محمد أحمد |
| ١٠ ـ العلم | الأمين الحاج محمد أحمد |
| ١١ ـ دليل الذاكرين وتنبيه الغافلين | الأمين الحاج محمد أحمد |
| ١٢ ـ الجهاد ضد الصليبيين | مسفر الغامدي |
| ١٣ ـ أهوال القيامة | عبد الملك كليب |
| ١٤ ـ صفات التابعين | عبد الملك كليب |
| ١٥ ـ روضة الزاهدين | عبد الملك كليب |
| ١٦ ـ علامات النبوة | عبد الملك كليب |
| ١٧ ـ الصلاة | عبد الملك كليب |
| ١٨ ـ اسماء الله الحسنى | محمد سليم |
| ١٩ ـ مسرور ومقرور | أحمد بهجت |
| ٢٠ ـ ردة ولا أبابكر لها | أبو الحسن الندوي |
| ٢١ ـ الزواج الاسلامي | طارق إسماعيل كاخيا |
| ٢٢ ـ فن التجويد | عزت عبيد دعاس |
| ٢٣ ـ عمدة الأحكام | المقدسي الحنبلي |
| ٢٤ ـ كشف الشبهات | محمد بن عبد الوهاب |
| ٢٥ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة | محمد بن عبد الوهاب |
| ٢٦ ـ متن الرحبية في علم الفرائض | موفق الدين أبو عبد الله |
| ٢٧ ـ دليل الطالب المسلم | |

| | |
|---|---|
| ٢٨ ــ الصلاة | رشدي فكري |
| ٢٩ ــ الاعراب عن فن الاعراب | عبد الرحمن الأهدل |
| ٣٠ ــ عصمة الأنبياء | فخر الدين الرازي |
| ٣١ ــ من وصايا الرسول | حمزة عجاج |
| ٣٢ ــ مناسك الحج والعمرة | |
| ٣٣ ــ ضوابط العقد | عدنان التركاني |
| ٣٤ ــ شرح متن الأربعين نووية | يحيى شرف الدين النووي |
| ٣٥ ــ سلسلة تعليم الخط ١ / ٥ | محمد فتحي الغزي |
| ٣٦ ــ ألف ياء هجاء ورسم | |
| ٣٧ ــ تعليم الأرقام بالعربي | |
| ٣٨ ــ تعليم الأرقام بالإنجليزي | |
| ٣٩ ــ السهل باللغة الإنجليزية | محمد شفيق البلوي |
| ٤٠ ــ تعليم الإنجليزية لغير الناطقين بها . | |
| ٤١ ــ مجموعة أمهات المتون بالنحو | |
| ٤٢ ــ مجموعة أمهات المتون بالتجويد | |
| ٤٣ ــ قصص حكايات جدتي ١ / ١٠ | عمر كبيسى |
| ٤٤ ــ قصص اسمعني حكاية | يحيى الحاج يحيى |
| ٤٥ ــ معارك حاسمة | عبد الرحمن الزومة |
| ٤٦ ــ رجال صدقوا | عبد الرحمن الزومة |




دار المطبوعات الحديثة
تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص.ب ١٦٦٢٥
جدة - المملكة العربية السعودية

# الرسائل لابن تيمية

الفرقان بين الحق والباطل

معارج الوصول

التبيان في نزول القرآن

الوصية الصغرى

[illegible]

[illegible]

الوصية الكبرى

الإرادة والأمر

العقيدة الواسطية

المناظرة في العقيدة الواسطية

العقيدة الحموية الكبرى

الاستغاثة



طبع في دار المطبوعات الحديثة . جدة ☎ ٦٦١٠٨٨٠